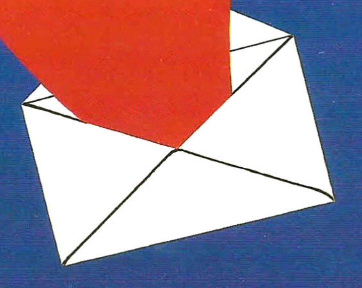
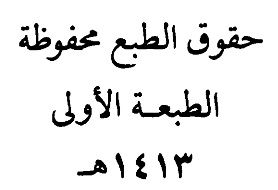
رسالة الى مضطر

للشيخ محمد المختار الشنقيطي



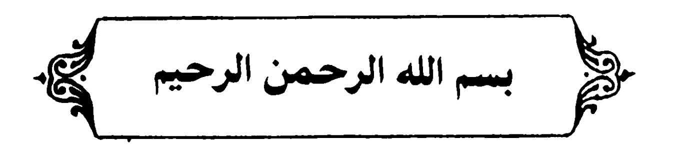
مكتبة السلام



الطبعـة الأولى

١٤١٣هـ

الجمع التصويري والإخراج ـ الفرقان ٤٠٢٩٨٦٥ ـ ٤٠٤٣٧٣٢



رسالة إلى مضطر

بسم الله الـرحمن الرحيم ـ الحمد لله مفرج الهموم ـ الحمد لله مبدد الأحزان والأشجان والغموم ـ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ملاذ الهاربين. وعدة الصـــابـرين ـ وسلوان المصـابـين ـ وأشهـد أن سيدنـا ونبينامحمد عبده ورسوله الأمين قدوة الصابرين. وإمام المحتسبين. صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته والتابعين ومن سار على نهجهم المبارك وأستن بسنتهم إلى يوم الدين.

مقدمـة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

سلام على كل مؤمن مهمـوم. سلام على كل مؤمن مبتلٍ مغموم. سلام على كل مؤمن مبتلٍ ضرير. سلام على كل مؤمن مجروح أو كسير سلام على أولئك الذين فجعــوا بأهليهم ـ سلام على أولئــك اللذين فجعــوا بأحبتهم وذويهم. سلام على من فارق الأباء والأمهات سلام على من ودّع الخلان والأصحاب والأخوات. سلام على من فجع بالأبناء والبنات. سلام عليك إذا ودعت أبـاً كريماً طالما مدّ يد المعروف إليك. سلام عليك إذا فجعت بتلك اليد التي طالمـا أحسنت بعـد الله إليك. سلام عليك إذا ودعته دار البلىٰ وأسلمته إلى يد الردى. فكان آخر عهدك به إذ ولى قطفه تفهما اشتغلوا بها أقدم عليه من الله جلا وعلا. سلام عليك إذا رجعت إلى دارك ففقـدت صورتـه وحنانه. سلام عليك إذا رجعت إلى دارك فانقطع صوته بينك وبين أبناءك. سلام عليك إذا

ودّعت أماً حنوناً. طالما أسدت يد المعروف إليك. سلام عليك إذا فجعت بها وقد كان ثديها لك سقاء وبطنها لك وعاء. وحجرها لك حواء. أسلمتها إلى يد الردى والبلىٰ. وما وفيت شيء من معروفها عليك. أسلمتها إلى دار البلىٰ وما رأيت حقوقها من البر عليك. سلام عليك إذ ودعت الأصحاب والأحباب. وخلّفوك في هذه الدنيا وحيداً فريداً مع الذكريات. سلام عليك إذا فجعت بهم. وعظم مصابك بهم. سلام على كل مؤمن مهموم مغموم طريح البلا طريح الأذى، سلام على من نزل به البلاء في نفسه. سلام على من نزل عليه البلاء فعظم عليه البلاء. سلام على من بات طريح الأسرة البيضاء. سلام على كل مؤمن فجع بالأعضاء. سلام على كل مؤمن ذي عين عميت أو عورت. سلام على مؤمن ذي يد قطعت أو شلّت. سلام عل كل مؤمن ذي قدم بترت أو حسمت. سلام على أهل البلايا من عباد الله المؤمنين. عظم الله أجركم. وجبر الله كسركم. وعوضكم خير الدنيا والأخرة عما فقدتم فمن لكم غير الله يجبر كسركم.

ومن لكم غير الله يبدد أشجانكم وأحزانكم ومن لكم غير الله يؤنسكم من الوحشة ويعيد إليكم ما فقدتم من النعمة. من لكم غير الله إذا دُفِعْتُم عن الأبواب إلا بابه. ومن لكم غير الله إذا صُرِفتُم وخاب الرجاء فيمن سواه إلا رجائه. من لكم غير الله أعز مطلوب وأشرف مرغوب. سلام عليكم من الله ورحمات، سلام عليكم من الله ورضوان ومغفرات، عدد ما سكبتم من العبارت ولفظتم من الآهات والأنات والصيحات.

أحبتي في الله: إنها الدار وأي الدار ـ دار الدنيا والدنائة. إن أضحكتك يوماً أبكتك أياماً. وإن سرتك يوماً ساءتك سنيناً وأعواماً. هي الدار التي جعل الله عز وجل شرورها أعظم على المؤمن من شرورها على من كفر. هي الدار التي جعل الله بلاءها على من بر أعظم من بلاءها على من فجر. فالمؤمن فيها غريب. والمؤمن فيها ليس منها قريب. فالمؤمن فيها غريب حتى يلقى الله فهو ابن الآخرة وليس إبناً لهذه الدنيا الدنيئة تعضه بأنيابها. وتقلقه بفواجعها لكنه وإن آلمته بأشجانها

وأحـزانها وضربتـه بأسقـامهـا وأفـاتها فله في الله رجاء لا يخيب صاحبه. وله في الله ركن لا يضيع صاحبه، إليه المفزع وفيه المطمع. له من الله سلوان من الكروب وله من الله رحمة من تلك البلايا والخطوب. إنها الدار المؤلمة إنها الدار المحزنة التي صبّ الله عز وجل فيها البلايا على المؤمن لذلك فإن خير ما يحتاجه العبد المؤمن في هذه الدار إذا عظمت مصيبته وجاًّت كربته أن يجد من يعينه على أشجانها وأحزانها. أحوج ما يحتاجه المؤمن إلى حكمة من أخيه تثبته أو رسالة من محب تسليه. أو كلمة صدق عن البلاء تعزيه يحتاج المؤمن إلى إخوان يواسونه في الأشجان والأحزان ويبددون عنه ما حصل وما كان، يحتاج المؤمن إلى الكلمة الصادقة النابعة من الأخ المشفق ولذلك شرع الله عز وجـل عيادة المرضى ووعد الله تبارك وتعالى من عادهم بجميل الرضا. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من عاد مريضًا فهو في خرفة الجنة حتى يعـود**»[1] من سعى لوجه الله عز وجل إلى أخ يواسيه في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه.

مرضه أو يسليه من بلاءه فخطواته في سبيل الله ولحظاته وأنفاسه في طاعة الله ومرضات الله . وكان بعض السلف إذا خرج لعيادة المريض يقرب الخطى حتى يطول زمانه في رحمة الله من عبادته . وشرع الله عز وجل تشيع الجنائز لما في تشيعهـا من تسلية للمصـابـين . فالمؤمن قوي بإخوانه . شديد بأعوانه . فإذا وجد هذا يسليه وهذا يثبته وهذا يعزيه هان عليه ذلك الخطب الذي يجده ويسر الله عز وجل عليه ذلك البلاء الذي يعانيه . لذلك أحببتى في الله سلوان المصـابـين وتثبيت قلوب عبـاد الله المؤمنـين المفجوعين المنكوبين من أجل القربات وأعظم الحسنات والطاعات التي يحبها الله تبارك وتعالى وإنطلاقاً من هذا كله فإليك أخى المهموم . إليك أخي المكروب والمغموم كلمات من الأعـماق أسأل الله تبارك وتعالى أن يبدد بها أشجانك وأن يزيل بها أحزانك وأن يجعلها خالصة لوجهه نافعة يوم لقاءه .

أول وصية أوصيك بها : إذا فجعت في نفسـك أو أهلك وولدك أن ترضى عن الله . فوالله ما رضى عبد عن

الله إلا أرضاه الله ولذلك قال النبي ﷺ : «**إن عظم الجزاء على عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً إبتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط**»(٢) من رضى عن الله ـ أرضاه الله في دنياه وأخراه **وكتب عمر بن الخطاب** رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يوصيه ويذكر له تلك الوصية النافعة فأستفتح كتابه رضي الله عنه بقوله ـ أما بعد فأعلم أن الخير كله في الرضا عن الله أن الخير كله أن ترضى عن الله . إعلم أخي في الله أنه إذا أصابك البلاء فرضيت عن الله أرضاك الله في الدنيا والآخرة وأقر الله عينك وأثلج صدرك . فكم من مصيبة عادت نعمة على العبد إذا رضى عن الله تبارك وتعالى . فكم من بلايا رضى أصحابها زادتهم من الله قربا . ومن الله رضا وحبا .

أول وصية أن ترضى عن الله تبارك وتعالى ولهذا الرضا دلائل . أولها طيب الكلام وحسن الظن بالله تبارك وتعالى

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن محمود بن لبيد معلقاً ووصله أبو يعلى والحاكم .

ومن ثم قال العلماء إن العبد إذا رضى عن الله وهبه اليقين في مصيبته. قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه**﴾[٣] **قال رضى الله عنه**[٤] يهدي بقلبه أن يهبه اليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه. وما أخطأه لم يكن ليصيبه. فإذا كان الإنسان راضياً عن الله تبارك وتعالى وعنده الإيمان واليقين الذي ربى النبي ﷺ أصحابه ثبت الله جنانه ولذلك كان بعض السلف إذا أصيب بالمصيبة أظهر الرضا لله. قام أحدهم بين أناس فجالت يده فقطعت فضحك. قالوا سبحان الله تصاب في يدك فتضحك. قال إني ذكرت ثوابي عند الله عز وجل فضحكت. وسار الفضيل رضي الله عنه في جنازة إبنه فلما سار معهم تبسم رحمه الله قالوا: لما تبتسم رحمك الله. قال إحتسبت مصيبتي عند الله فذكرت حالي عند الله خلوت وضحكت. فكل ما كان اليقين في قلب

---

(٣) التغابن رقم الآية ١١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٨ ص١٣٩.

العبد كلما وجدته أثبت جناناً وأشرح لله عز وجل صدرا. والله ما رضى عبد عن الله إلا جعل له من كل هم فرجاً. ومن كل ضيق مخرجاً، فإذا حصل الرضا. فإن بعد الرضا أمر مهم لابد من وجوده وهو علمك بأنه لا يدفع البلاء إلا الله وأنه لا يدفع هذا العناد الذي تجده إلا الله. كان النبي ﷺ يوصي أصحــابه. **فأوصى البراء بن عازب** رضى الله عنـه إذا أوى إلى فراشه بأن يقول اللهم إني أسلمت نفسي إليك والجـأت ظهـري إليك. وفوضت أمرى إليك رغبة ورهبة إليك. لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك»(٥). أول مايحس الإنسان بالبلاء إذا أراد أن يفرج الله كربه وهمه أن يحس من أعماق قلبه أنه لا ينجيه أحد من هذا البلاء إلا الله عز وجل هذا نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أوذي في الله فصبر فجمع قومه له ذلك الوادي العظيم من النار حتى إذا تأجج ذلك الوادي بناره وأصـطلى بجحيمـه وسعيره ألقى عليه الصلاة والسلام

---

(٥) أخرجه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب.

حتى إذا صار مقبلاً على ذلك البلاء العظيم مسلماً لله عز وجل فيما إبتلاه. فلما قدم قال له جبريل. هل لك من حاجة؟ ذلك الملك الذي لو أذن الله له لخسف الأرض ومن عليها بجناحه. قال يا إبراهيم هل لك من حاجة؟ قال أما إليك فلا وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل. فقال الله تعالى: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم(٦). قال بعض العلماء لو قال الله يا نار كوني برداً لأهلكته من بردها. ولكن قال كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. ثم خرج عليه الصلاة والسلام طِرداً عن قومه مهاناً من عشيرته وحيداً لا مال لا بنون لا أخوة لا أصحاب ولا أحباب. فخرج من داره مؤذ في الله مضطهد فلما ولى وجهه قال عليه الصلاة والسلام: «إن معي ربي سهيدين»(٧) قال عليه الصلاة والسلام: «إني ذاهب إلى ربي سيهدين ربي هب لي من الصالحين»(٨) فخرج من داره

---

(٦) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٥١٤.

(٧) الشعراء الآية ٦٢.

(٨) الصافات: ٩٩.

فعـوضـه الله أفخر من الدار التي خرج منها عوضه الله الأرض المقـدسـة وجعل ذريته ذرية النبوة والصلحاء. وجعـل فيها ميراث الأنبياء ﷺ كل ذلك باليقين بالله. فكل إنسان أصابته مصيبة فعلم أنه لا ينجيه منها إلا الله عز وجل فرج الله همه وغمه، أمره الله تبارك وتعالى أن يخرج بهاجر مع صبيها ورضيعها أن يخرج من دارٍ كلها جنات وأنهار إلى دار لا ماء فيها ولا أشجار فجاء فوضعها في ذلك الوادي الذي لا أنيس فيه ولا جليس فتعلقت به تلك المـرأة المفجـوعة وقالت يا إبراهيم: إلى من تدعنا يا إبراهيم. فولى وجهه عليه الصلاة والسلام قِبَل الدابة فتعلقت به ثانية وقالت إلى من تدعنا يا إبراهيم. أمرأة ضعيفة. وصبي ضعيف ليس معهم أحد تقول له وتتعلق به. إلى من تدعنـا يا إبراهيم. فلما كانت المرة الثالثة. تعلقت به وألحت فقالت إلى من تدعنا يا إبراهيم فقال لله. فقـالت إذن لا يضيعنـا الله. ورجعت إلى صبيهـا وقلبهـا كله يقـين بالله تبارك وتعالى فتولى عليه الصلاة

والسلام حتى إذا نزل في الوادي وتغيب عن نظرها رفع كفه إلى الله فقال: ﴿ربي إني أسكنت من ذريتي بوادي غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾(٩) الله أكبر - إلى يومنا هذا والقلوب تحن وتئن إلى رؤية البيت العتيق. إلى يومنا هذا والنفوس تشتاق إلى رؤية البيت العتيق. فلما جلست تلك المرأة المفجوعة مع صبيها وعاينت ما هي فيه من البلاء جاءت تلك الساعة التي صاح فيها الصبي يطلب الماء. وعندها خرجت لكي تلتمس الأسباب فرقت على الصفا. فصاح صبيها فلم ترى أحد. ثم مضت إلى المروة وتعلقت بالله عزوجل تدعوه وترجوه حتى إذا كانت المرة السابعة أبى الله أن يفرج همها إلا بالصبي نفسه فجعل تفريج الكرب من تحت قدم الصبي الذي بحث برجله الماء. من يقن بالله تعالى جعل الله فرجه في نفسه قبل أن يكون بعيداً عنه.

---

(٩) إبراهيم ٣٧.

نبي الله أيوب طريح الفراش أكثر من سبع سنين كان ذا حال وذا ثروة وذا نعم وذا جاه. قال إبليس: اللهم سلطني على عبدك أيوب. فسلطه الله على حاله فأحرق جميع حاله. فلما رأى ذلك البلاء في حاله ـ قال الحمد لله. حمد الله تبارك وتعالى. وقال في كلام معناه. اللهم وهبتني المال وأنعمت عليّ بالمال حتى شغلني عن ذكرك فها أنت قد فرغتني لذكرك وشكرك، فلك الحمد رب العالمين. رضى عن الله تبارك وتعالى. وشاء الله تبارك وتعالى ألا يبقى البلاء عند هذا وإذا بذلك اللعين يسأل الله أن يسلطه على أهله وولده وشاء الله تبارك وتعالى أن يمكنه من ذلك فقد فلذات كبده وفقد أهله واحداً تلو الواحد. حتى فجع بهم جميعاً إلا زوجة واحدة. بقيت هذه الزوجة ومع ذلك النبي المصاب. ومع ذلك العبد المبتلى تواسيه وتسليه فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله رب العالمين ـ وشكر الله على البلاء الذي أصابه. فقال أبليس عليه لعنة الله. اللهم سلطني على نفسه: فقال لك كل شيء إلا لسانه وقلبه. فبقى عليه الصلاة

والسـلام لا يمكن أن يفتر له لسان عن ذكر الله تبارك وتعالى ولا يمكن أن تفتر له جنان عن حسن الظن بالله تبـارك وتعـالى. تولى عنه الناس. حتى أصبح أنتن ما يكون رائحة وتركوه إلى جوار المزابل كما ورد في الآخبار. وأصبحت تلك المرأة تأتيه اليوم تلـو اليوم حتى فتن بالمرأة التي بجواره فلما بلغ الأذى وأصابه ما أصابه من الضر والبلا عندما تذكر الله تبارك وتعالى وأحس بعظيم البلاء الذي يجده فقال الله تعالى يصور ساع اليقين من ذلك القلب المـوقن: ﴿**وأيـوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فأستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وأتينـاه أهله ومثلهم معهم رحمـة من عنـدنـا وذكـرى للعابدين**﴾[١٠] لما أراد الله أن يفرج كربه أمره بكلمة واحدة. **أركض برجلك** ما أمره أن يقوم. ولا أمره أن يذهب إلى أحد. ولا أمره أن يسأل أحد أن يفرج كربه. ولكن أمره بأمـر واحد بين الكاف والنون. أركض برجلك فجعل

(١٠) الأنبياء: ٨٣.

تفريج كربه من تحت قدمه فلا إله إلا الله رب العالمين. في طرفة العين. تفجرت العين. ثم أغتسل منها فما بقى به مرض في جسده. وما بقيت به أهه في بدنه فقام عليه الصلاة والسلام قوي سوىً من لحظته وساعته. الله أكبر ما يوقن أحد في الله فخاب في يقينه ولا رجى أحد في الله عز وجل فخاب في رجاءه. ثم أعاد الله تبارك وتعالى عليه أهله وذريته[١١]. **قال عبد الله بن عباس**: أعاد إليه الأهل والذريا بأعيانهم. فرد عليه الزوجات ـ ورد عليه الأبناء والبنات. ثم رد عليه أضعاف ما كان فيه من النعمة. ولذلك قال بعض العلماء ما أصاب الكرب والخطب عبداً فدرع إلى الله تبارك وتعالى إلا أعطاه الله تفريج الكرب ومع تفريج الكرب زيادة فضل من الله ولذلك تجد بعض الناس يفجع بأهله يفجع بولده. يعوضه الله حلاوة إيمان تبقى معه إلى لقاء الله عز وجل. أصيب رجل بولده وكان ذلك الرجل من أفجر خلق الله والعياذ بالله. تارك

---

(١١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص٥١٨.

للصلاة منتهك للحدود والمحارم. أقسى ما يكون قلباً والعياذ بالله فشاء الله في يوم من الأيام بعد صلاة العشاء جاءه إبنـه يضحـك ويسلو. وشاء الله تبارك وتعالى أن يودعه ذلك الأبن فتكون آخر عهده بذلك الابن. فخرج الابن وما هي إلا لحظات حتى جاءه الخبر بأن ذلك الابن انتقل إلى جوار الله وهذه حال الدنيا تمتع النظر في الابن في الصبـاح فإذا بك تفجـع به في المسـاء. وتمتع النظر بالأب في المساء فإذا بك تفجع به مع ظهور الصباح. فسبحـان من هذا ملكه. وسبحان من هذا جمعه. فلما فجع بذلك الابن طاش عنه عقله وعذب عنه رشده فشاء الله تبارك وتعالى أن يقيد له طالب علم موفق ذكره بالله بالكلمة تلو الكلمة حتى شرح الله صدره وآنس الله قلبه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم شاء الله تبارك وتعالى أن يخشع يوماً فيوم حتى سمعته ذات يوم يقول والله إني أصبت بابن وإنها نعمة من الله عليّ إبتلاني بذلك الابن. عرفت الله وكنت له منكرا. وإقتربت من الله وكنت منه بعيدا. وأويت إلى الله وكنت منـه طريداً في كلام هذا

معنـاه. مصيبتي قربتني من الله تبـارك وتعـالى فالله منه العـوض. ما رجـاه أحـداً فخـاب ولا أيقين عبداً ربه فخسف به الأرض من تحت قدمه أبداً.

ولذلك قال بعض العلماء إذا أراد الله أن يجمع للعبد بين المصيبتين إبتلاه وسلبه اليقين فيه والعياذ بالله. إذا ابتلى الله العبد فلم يلتجأ إلى الله بعد البلاء فأعلم أنه والعياذ بالله مستدرج ولذلك البلاء كل البلاء على الكافر الذي إذا أصابته المصيبة لا يدري أين يذهب ولا يدري أين ينأه ولكن المؤمن له باب يقرعه ورب لا يخيب يرجوه. فلذلك أحبتي في الله كان من لوازم البلاء اليقين في الله عز وجل. أصيب بعض السلف بمصيبة وعظمت عليه هذه المصيبة وكانت آفة في جسده وما زال يعرض نفسه على النـاس رجل بعد رجل حتى يأس من علاج هذا الـداء وقنط أن يشفى من ذلـك البلاء فدخل يوماً من الأيام فإذا رجل يتلو كتاب الله فسمعه يتلو قول الله عز وجل: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾[١٢] فقال: اللهم

(١٢) النمل: ٦٢.

إني مضطر وأنت المجيب. فما قام من ساعته إلا وهو معافى. إذا دخل اليقين إلى قلب عبد لا يمكن أن يبرح وحاجته في قلبه. بل إن بعض الناس يمسي المساء وحاجته تضايقه وكربته تؤلمه فيدرع إلى الله بالدعوة الصادقة - يعز على الله أن يصبح وحاجته في قلبه تفرج عليه قبل أن يصبح وهذا من عظيم لطف الله بالعباد ومن الأمور التي تبعث باليقين حسن الظن بالله تبارك وتعالى والله ما أحسن عبد ظنه بربه إلا كان الله عند حسن ظنه، إذا أصابتك المصيبة فأحسن الظن بالله وقل إنا لله وإنا إليه راجعون - الحمد لله على كل حال. وأعوذ بالله من حال أهل النار من قالها فقد أوجد رضاً من الله تبارك وتعالى ولذلك أحرص ما يكون الشيطان في بداية المصيبة أن يصيب ظنك بالله عز وجل ولذلك إذا جاءت المصيبة في النفس أو جاءت في المال أو جاءت في الولد جاءك الشيطان فقال: لك لو كان الله يحبك ما إبتلاك. ولو كان الله يحبك ما أصابك بإبنك فلذة كبدك. ولو كان الله يحبك ما أفقدك على كبر سنك. ولو كان الله - ولو كان

الله ـ أحرص ما يكون على أن تكون على سوء ظن بالله عز وجل ـ فالله الله أن يسوء ظنك بالله عز وجل ـ بل قل الحمـد لله وليكن قلبـك مطمئنـاً بالفرج من الله تبارك وتعالى. فمن اتقى الله جعل له من كل هم فرجا. ومن كل ضيق مخرجا.

أخي: الملك لمن ـ والكـون لمن ـ والتدبير لمن ، من الذي يجير ولا يجار عليه ومن الذي يغيث ولا مغيث سواه والله لو علم المكروب سعة رحمة الله عز وجل ما تألم من كربـه. ولو أيقن المكروب بحلم الله به ـ لا يمكن أن يصيبه بلاء في نفسه وأضرب لك مثلاً يسيراً. لو أنك يوم من الأيام سؤلت عن أرحم الناس بك. وأحلم الناس عليك. لقلت أبي وأمي ولكان في قلبك يقين إلا أرحم في الناس من أبيك وأمك. والله ـ ثم والله لرحمة أبيك بك لا تأتي مثقال ذرة في رحمة الله عز وجل بك، ولطف الله عز وجل وحنانه وحلمه ورحمته وأنت تقاسي الآلام وتكابد الأسقام أشد من رحمة والديك بك. ولكن يريد أن يرفع درجتك. ويريد أن يحط خطيئتك ويريد أن تخرج من

هذه الدنيا صفر اليدين من السيئات والخطايا حتى إذا وافيته. وافيته بوجه أبيض مشرق منير. من تلك البلايا. وإن من عبـاد الله هو والله حبيب لله. لا يبتليه الله عز وجـل إلا لكي يدنـوا منـه. يبتليه لكي يسمع صوته. يارب - يارب - إلهي - سيدي. مولاي. يسمع إخباته - يسمع إنابته. فتكون أصدق شاهدٍ على توحيده لله تبارك وتعالى. هذه البلايا وهذه الفتن والرزايا بسطت لك لكي تكـون سُلَماً إلى رحمة الله عز وجل - شعرت أم لم تشعر وكان بعض السلف إذا نزلت به المصيبة ووهبه الله اليقين عليها والعبد عليها تسلى بالدعاء حتى أُثِرَ عن بعضهم أنه كان يكثر الدعاء ويلح في المسألة حتى يقول: يا ليت أن الله لا يفـرج عني كربي حتى تستـديم هذه الحلاوة لمنـاجاته ومناداته. فإذا دخل اليقين إلى القلوب هانت عليها البلايا والخطوب إذا دخل اليقين إلى الأفئدة تعلقت بالله وحده لا شريك له. ما إبتلاك الله لكي تفزع إلى يزيد وعمر لا والله. ما إبتلاك الله بالاسقام حتى تتعلق. بغيره سبحانه وتعالى. فوالله لوصبت البلايا على العبد لا

يمكن أن يجد الفرج أو المخرج إلا بالله سبحانه وتعالى . فلذلك يكون الإنسان على يقين بالله تبارك وتعالى ألا ملجا ولا منجا من الله تبارك وتعالى إلا إليه وقع أحد الناس في ضائقة وإشتدت عليه هذه الضائقة . كان مبتلى ـ كان مبتلى بمس . وكان هذا المس يقلقه ويزعجه ويؤلمه . وأشتد عليه ذلك الخطب وفي يوم من الأيام جاء إلى أحد طلاب العلم وإشتكى إليه ما يجده فقال والله يا شيخ عظم عليّ البلاء وإني أصبحت مضطر أفلا يجوز لي أن أذهب إلى إنسان يفك عني هذا البلاء الذي أجده . ألا ترخص لي في ساحر أو كاهن يعلم ما أصابني فيكشف عني ما أصابني . يقول ذلك وهو في حرقه وألم وشدة شجن لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى فوفق الله طالب العلم إلى ذلك الرجل فقال له كلمات ثبت الله بن جنان ذلك المؤمن . وقال له كلمات شرح الله بها صدر ذلك العبد المبتلى ـ فقال له في آخر الكلام . إني لأرجوا من الله عز وجل أنك إذا استعنت بأمرين أن يفرج عنك الكرب والبلاء أحدهم الصبر والثاني الصلاة . فقام الرجل من

عنده بيقين قوي في الله عز وجل. والله يا أحبتي في الله وهو رجل من طلاب العلم هذا المصاب يقول قمت من عندك يخاطب طالب العلم. فصليت ركعتين أحسست أني مكروب وأنه قد أحاطت بي الخطوب فأستعذت بالله وإستجـرت ـ يقـول وإذا بي في سجودي أحس بحرارة شديدة في قدمي ما سلمت إلا وكأن لم يكن بي من بأس. اليقين أحبتي في الله هل الساحر يغيثك من دون الله. هل الكاهن يجير لك من دون الله. الأمر أمره والقدر قدره ـ خط عليك هذا البـلاء قبـل أن تكـون وقبل أن توجد **﴿إن كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾**[١٣] كتب الله عز وجـل البلايا قبل أن يخلق العباد. ففي مسنــد الإمـام أحمـد أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أول ما خلق القلم قال: أكتب. قال: يارب ما أكتب. قال: أكتب ما هو كائن ومـا هو يكـون إلى السـاعة.**

(١٣) القمر: ٤٩.

فجرى القلم بما هو كائن ومايكون إلى قيام الساعة»(١٤) وكذلك ركب عبد الله بن عباس مع النبي ﷺ ذات يوم، فأراد النبي ﷺ أن يهديه هدية وأن يمنحه العطية. فقال عليه الصلاة والسلام: «ياغلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن إحفظ الله يحفظك - أحفظ الله تجده تجاهك. إذا استعنت فاستعن بالله. وإذا سألت فسأل الله. واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله. وأعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله رفعت الأقلام وجفت الصحف»(١٥). فمن هذا الساحر - ومن هذا الكاهن الذي يستطيع أن يتخطى أمر الله عز وجل من هذا العبد الذي يستطيع أن يقضي هذا الوتر بنفسه قبل أن يقضيه بغيره من دون الله عز وجل فالله الله أن ينظر الله عز وجل إليك في البلاء وقد رفعت

(١٤) أخرجه أحمد في مسنده.

(١٥) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

كفك إلى غير الله ـ الله ـ الله أن ينظر الله إليك في البلاء وقد تعلقت بغيره جلا في علاه. الله ـ الله ـ أن ينظر الله إليك في البلاء وقد صرفت شعبة من شعب قلبك تعتقد بها في أحد سواه. الله ـ الله أن ينظر الله إليك في البلاء وقد تعلقت بغيره وعذت بأحد سواه ـ فوالله إن وليت عن الله خسف الله الأرض من تحت قدمك. وكم من أقدام استعاذوا وإستجاروا بغير الله ففرج الله عنهم الكربات إمتحاناً وإختبارا واستدرجهم منه علماً وحلماً وإقتدارا. ثم إبتلاهم بالبلاء الذي هو نهايتهم من حيث لا يحتسبوا.

ذكروا عن رجل أنه كان يقرب ساحرا وكان يثق في هذا الساحر ثقة عمياء فكان هذا الساحر بزعم ذلك المبتلى أن يفرج همه وينفس كربه والله يستدرجه اليوم تلو اليوم حتى قوى إعتقاد ذلك الرجل في ذلك الساحر والعياذ بالله. وقوى اعتقاده في ذلك الكاهن من دون الله ـ نسأل الله السلامة والعافية فشاء الله عز وجل كما عظم يقين هذا العبد أن يسلط عليه الساحر أن يؤذيه والعياذ بالله فلذلك أحبتى في الله من وثق في الله وأيقن في الله تبارك وتعالى

أحس في قرارة قلبه ألا ملجا ولا منجا من الله إلا إلى الله إن فقدت الأموال فإنك لم تفقد ربها ـ وإن فقدت الأبناء والبنات فإنك لم تفقد من أوجدها ومن خلقها وإن فقدت الأباء والأمهات فإنك لم تفقد من جبل قلوبهم على الحنان فأحسنوا إليك ـ ووهبوا يد المعروف إليك. فالله ـ الله أن يخيب ظنك في رجائه. أو أن تكون من عبادة اللذين ضل سعيهم بالرجاء في غيره..

الوصية الأخيرة: التي أوص بها كل مفجوع. وأوص بها كل مؤمن مفزوع. وصاه الله بها عز وجل في كتابه وذكرها في أكثر من ثمانين موضعاً من كتابه إنها الصبر على البلاء ـ قال الله تعالى يوصي نبيه: **﴿واصبر وماصبرك إلا بالله﴾**[١٦]، وقال لعبادة المؤمنين: **﴿يا أيها الذين أمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**[١٧]، وقال مثنياً على نبيه أيوب: **﴿إنا وجدناه**

---

(١٦) النحل: ١٢٧.

(١٧) آل عمران: ٢٠٠.

صابـرا نعـم العبـد إنـه أواب﴾(١٨) الله أكبر إنا وجدناه صابرا. إذا أنزل الله عليك البلاء فأصبحت صابرا قانتاً لله ينعم الله عليك. فيقول نعم العبد أيوب حينما أصيب في نفسه وأصيب في أهله. وأصيب في ولده. فصبر لوجه الله. قال الله عنه: ﴿**نعم العبد إنه أواب**﴾ فإذا أردت أن ينعم الله عليك فأصبر. قال ﷺ: «**ومن يصبر يصبره الله وما أعطى عبد عطاء أفضل من الصبر**»(١٩) الحديث، كذلك جرب في أي بلية نزلت بك. أو مصيبة لاقدر الله أحـاطت بك ـ إذا صبرت وسليت وتعـزيت أحسست بنـوع من الارتياح وأحسست بطمأنينة وإنشراح وذلك عاجل ما يكون للمصابين. أما العاقبة التي تجنيها فقال عمر رضي الله عنه عاقبة الدنيا وجدنا ألذ عيشنا في الصبر ما طابت الحياة ولا لذت الحياة بشيء مثـل الصبر. إن

---

(١٨) صٓ: ٤٤.

(١٩) الحـديث أخـرجـه البخـاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أصابتك المصيبة تعلقت بالله فسلوت فأصبحت لا تقلق ولا تجزع تحس أن الله تبارك وتعالى سيحسن لك العاقبة. إما أن يزيلها ـ أو يعظم لك الأجر في الدنيا. قال تعالى: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**[٢٠]، قال بعض العلماء في هذه الآية الكريمة إن العبد إذا عظمت مظالم العباد عليه فإن الله عز وجل يوفى الظالم بالعبد ولذلك قال في الصيام. قال عليه الصلاة والسلام. يقول الله تعالى: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**»[٢١]. قال العلماء لأن الصيام صبر وإحتساب فإذا بلى الإنسان بمظالم الناس وجائته البالايا فصبر. ضاعف الله أجره في الصبر حتى تؤخذ المظالم منه حسنه حسنه ولا يزال الصبر يضاعف أجره حتى يأخذ أجر العمل كاملاً. فيوافي الله عز وجل برحمة منه ورضوان. الصبر أعظم خصلة في المؤمن والله تعالى وعد أهلها بقوله والله مع الصبرين فمن صبر صبره الله عز

(٢٠) الزمر: ١٠.

(٢١) الحديث أخرجه أحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة.

وجل ومن ثبت ـ ثبت الله عز وجل جنانه وقلبه ولذلك أثر عن بعض الصـالحين من السلف والماضيين أنهم كانوا يجدون اللذة بالصبر فكان الواحد منهم إذا صبر لا يشتكي إلى أحد ولا يطلع أحد على بلاءه إلا إذا أطلع من دون علمه واذكر بعض العلماء الفضلاء من مشاءخنا رحمة الله عليهم أبتـلى ببـلاء في جسـده فمكث ثلاث سنـوات لا يعلم أبناءه بذلك البلاء حتى انتفخ جلده وتقرح ذلك الجلد من قوة صبره ويقينـه بالله . ولـذلـك الصبر على مراتب أعظمها وأجلها ألا تشتكي الله على خَلقهِ. وألا تبث أشجانك وأحزانك إلا إلى الله وحده لا شريك له وهذا هو خلف الأنبياء ـ قال الله عن نبيه يعقوب : ﴿**إنما أشكو بثي وحزني إلى الله**﴾(٢٢) فأكمل ما يكون الصبر إذا كتم العبد غيظه وصبر على بلاءه ووفى الله تبارك وتعالى محسناً الظن به . فهذه أكمل درجات الصبر. وليس معنى هذا أنه يحرم على الإنسان أن يبث أشجانه وأحزانه إلى

---

(٢٢) يوسف : ٨٦ .

الناس ـلا ـ إنما المقصود أن يكون الإنسان على الأكمل فلا يشتكي إلا إلى ربه ولا يعول في تفريج كربه إلا إلى خالقه ولذلك جعل الله تبارك وتعالى ثمرات الصابرين خير. وكان بعض السلف رحمهم الله . إذا اشتكت إليه أحد المرضة قال له أتقي الله ـ اتشتكي من يرحم إلى من لا يرحم . ـ أي هل تشتكي الله إلى خلقه . فأكمل ما يكون الصبر إذا تعز العبد بربه وبث اشجانه وأحزانه إلى خالقـه نسـأل الله العـظيـم رب العـرش الكريم بأسمائـه الحسنى وصفـاتـه العلى أن يجعل لنا ولكم من كل هم فرجا . ومن كل ضيق مخرجا . ومن كل بلاء عافية ـ اللهم فرج هم المهمومين . ونفس الكرب عن المكروبين اللهم فك أسر المأسورين ـ وأرحم عبادك المعذبين وسلي عبادك المصابين ـ اللهم إنا نسألك يقينا تهون به علينا مصائب الـدنيا ـ اللهم إنـا نسـألـك الرضا بعد القضاء . وبرد العيش بعـد المـوت . ولـذة النظر إلى وجهك الكريم . لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين ، وصلى اللهم وسلم وبارك على نبيه وآله وصحبه .